لمحات

في الكتاب والحديث والمذهب



الفقيه الكبير

المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني دام ظله الوارف

الجزء الثالث

فتنة الفلسفة والفلاسفة

لمّا شاع من عصر المأمون فلسفة اليونانيين بين المسلمين صارت نـصوص الإسلام سيّما في أصول الدين غرضاً لتأويلات المتفلسفين فصرفوا النـصوص على آرائهم وعدّ من الثقافة الخروج من نصوص الشريعة وظواهرها وتأويـلها على ما يوافق ما حرروها في الفلسفة حتى في الطبيعيات فبعدوا وأبعدوا الناس عن مفاهيم نصوص الدين، في التـوحيد والصـفات ومـفهوم الحـدوث والقـدم والخالق والمخلوق وغيرها، فأولوها بما لا يوافق ظواهرها فبنوا ديـنهم عـلى الظنون والزعوم وفسروه بما لا يرتضيه صاحبه وأهل تفسيره فقرروا المـعارف العالية على الأسس التي قرّرها الذين لم يسلكوا مسلك الأنبياء، ولم يستضيئوا من نور هدايتهم السماوي فـاستقلوا بـعقولهم ومشـوا فـي مـذاهـبهم وجـاءوا بإصطلاحات التي لا توافق اصـطلاحات القـرآن الكـريم ووقـعوا فـي القـول بالإيجاب والحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وفسروا ربـط الحـادث بـالقديم كربط المـعلول بـالعلّة لا كـربط المـخلوق بـالخالق مـع الفـرق الواضـح بـين

الاصطلاحين، فكم فرق بين الخالق والمخلوق والعلّة والمعلول؟ لا يدرك بالاصطلاح الثاني ما يدرك بالاصطلاح الأول، وما يدرك من الثاني لا يدرك من الأول، لا يتّحد الطريقان ولا ينتهيان إلى مقصد واحد والعلّة يعبّرون عنها بالعلّة الأولى والثانية و... وأما الخالق فلا يعبّر عنه بالخالق الأوّل والثاني وكذا المعلول الأوّل والثاني والثالث.. ولا يقال المخلوق الأول والثاني والثالث[1]. فجميع المخلوقات وإن وقعت خلقة بعضهم في طول خلقة البعض الآخر مخلوقون لخالق واحد نسبة الجميع إليه سواء لا كالمعلول الثاني، والعلّة الثالثة الذي هو معلول للمعلول الأوّل والعلّة الثانية و. و..

وكتب الفلاسفة مع ما يوجد فيها ممّا يوافق وحي السماء لا يوافق جميع مباحثها مع الوحي وما هو ثابت بالكتاب والسنّة ففيها الغثّ والسمين والحقّ والباطل، وما يتّفق مع ما جاء به الأنبياء وما يخالفه وذلك لأنّهم سيّما القدماء منهم اقتنعوا واستغنوا بمنسوجاتهم عمّا جاء به رسل الله تعالى واستقلّوا بعقولهم عن هدايتهم فيما لا يهتدي العقل إليه لولا هداية الأنبياء، والذين جاؤا بعدهم سلكوا مسالكهم واتبعوا طريقهم غير انهم سعوا بعد ما أثبتوا عليه في المسائل تطبيق الكتاب والسنّة عليه فكأنّهم أرادوا أن ينزّهوا المشرّع عمّا وصل إليه عقولهم، ولذا لم يأمنوا عن الأخطاء والعثرة والزلّة إلّا القليل منهم فنرى إن إثنان من أشهر حكماء المعاصرين بالغا في تخطئة اثنين من مشاهير الفلاسفة في مسألة المعاد

(١) نعم جاء في بعض الأحاديث أوّل ما خلق الله... ولكن المراد منه ليس ما يريد هؤلاء من المعلول الأوّل المسمّى بالعلّة الثانية والعقل الثاني والمعلول الثاني للعلّة الثانية و.و..

الجسماني حتى رماهما بما نعوذ بالله منه[١].

هذا مع انهم تكلّفوا الكلام فيما لم يكلّفوا بالتكلّف فيه، بل نهوا عنه.

فهل هؤلاء يسلكون سبيل أرسطو وأفلاطون وسقراط والرواقيين والمشائيين، والفارابي وابن سينا وغيرهم؟ أم هم المهتدون بهدي محمد وأهل بيته صلّى الله عليهم، والسالكون سبيلهم، نحن لا نحكم على الجميع على إنهم من الطائفة الأولى أو الثانية ونرجو أن يكون جلّ فلاسفة المسلمين من الثانية وأما حسابهم فعلى الله تعالى.

(١) راجع رسالة الخاجوئي محمد إسماعيل المازندراني في تفسير قوله تعالى: وكان عرشه على الماء.

فتنة العرفاء والمتصوفة

ومن الذين بنوا أمرهم على تأويل النصوص وصرفها على ما يوافق أهوائهم وخيالاتهم وأعظمهم ضرراً وأقبحهم تأويلاً الطائفة المتسمّية بالعرفاء والمتصوفة، الذين لعبوا بأصول الدين وفروعه وطبّقوها على آرائهم الفاسدة وصحّحوا بها أعمالهم الخبيثة، لهم مقالات واهية وكلمات باطلة حرّموا الحلال وحلّلوا الحرام، وجاءوا مع إختلافهم في سيرهم وسلوكهم وسلاسلهم بما يخالف صريح النصوص، وتأويلات أوهن من بيوت العنكبوت وحسبك في ذلك أن تطالع بعض كتبهم وتاريخ رؤسائهم وأشعارهم حتى تعرف إنّهم من العرفان الحقيقي ومن الشرع أبعد من الأرض عن السماء، أعاذ الله المسلمين من شرورهم فلم يتقهقروا إلّا لإشتغالهم بترّهات هؤلاء وإنصرافهم عن التمسّك بالثقلين.

وأكثر ضرراً من هاتين الطائفتين على أنفسهم وعلى غيرهم من خلط ما تسمّيه هؤلاء بالعرفان بفلسفة اليونان فزاد في الطنبور نغمة أخرى.

وإن شئت أن تعرف ما عليه المتصوفة ومن سلك مسالكهم فراجع تفسير ملا عبدالرزاق القاساني تجد فيه كثيراً من هذه التأويلات، فإنّه في مثل الآية الكريمة: ﴿وانظر الى حمارك﴾[١] تأول الحمار بالعزير النبي[٢] والصفا والمروة بالقلب والنفس[٣]، وامّا الجدار فكان لغلامين يتيمين[٤] بالعقل النظري والعقل العلمي، وفي خلقكم من نفس واحدة، تأول النفس بالنفس الناطقة، وفي: خلق منها زوجها تأول الزوج بالنفس الحيوانية، والتأويلات الفاسدة في كلماتهم كثيرة جداً، فراجع الفصوص وغيرها ولا يهمّنا ذكر أكثر من ذلك، والغرض الإشارة إلى فساد الطريقة.

---

(١) البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) تفسير ملّا عبدالرزّاق: ج١ ص١٤٧.

(٣) نفس المصدر: ص١٠٠.

(٤) في سورة الكهف الآيه ٨٢: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمَين في المدينة﴾.